بسم الله الرّحمن الرّحيم

أخلاقيات وآداب السّفر في نصوص

بحث مقدّم لمجلة المعيار .. كلية أصول الدين والشّريعة والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة –الجزائر – .

من إعداد الأستاذ :

الدكتور : نجيب بوحنيك / أستاذ مادّة المواريث

–

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

أخلاقيات وآداب السّفر في نصوص السنّة النبويّة الشّريفة.

د/نجيب بوحنيك

كلية الشّريعة : جامعة باتنة –الجزائر

نظرًا لكمال هذا الدّين في تشريعاته .. فقد أولى عناية فائقة بما يحتاجه المسلم من ترتيبات ماديّة ومعنويّة في سفره، وذلك من خلال القيم والمبادئ التي تضمنتها نصوص السنّة النبويّة المطهّرة .. ذلك لأنّ السّفر كان ولا زال من الأمور الهامّة في حياة الفرد المسلم .. إمّا من أجل أداء بعض الشعائر التّعبدية وعلى رأسها الحجّ، أو السّياحة، أو العمل، أو التعلّم .. فجاءت ورقة هذا البحث .. مبيّنة للآداب الإسلاميّة التي يستحسن للمسافر الاتّصاف بها، وبيان السّبق الحضاري لشريعة الإسلام في مدى الاهتمام : بأسس السّياحة وأدبياتها .. والتي يعتبر السّفر من أوّل أسسها ووسائلها .. فلأجل إبراز قصب السّبق في الاهتمام بأحوال المسافر في سفره، وبيان القيم الحضارية في تشريعات الإسلام المتعلّقة به .. ارتأينا عرض حيثيات هذا الموضوع من جوانب عدّة، في خطّة ضمناها الفروع الآتية

- **الفرع الأوّل : التّبكير عند إرادة السّفر.**
- **الفرع الثاني : الصّلاة عند بداية ونهاية السّفر.**
- **الفرع الثالث : توديع الأحباب ووصيّة الأهل للمسافر في سفره.**
- **الفرع الرّابع : ما يدعو به المسافر في سفره.**
- **الفرع الخامس : تفضيل الجماعة في السّفر.**
- **الفرع السّادس : اختيار أميرٍ في السّفر.**
- **الفرع السّابع : التأني وعدم السّرعة أثناء المسير في السّفر.**
- **الفرع الثّامن : إعطاء الطّريق حقّه في السّفر.**
- **الفرع التّاسع : التّعاون وحسن المعاشرة في السّفر.**
- **الفرع العاشر : شراء الهدايا عند الرّجوع من السّفر.**
- **الفرع الحادي عشر : إشعار المسافر أهله بوقت قدومه من السّفر.**
- **الفرع الثاني عشر : استقبال المسافر عند قدومه من السّفر.**
- **الفرع الثالث عشر : الطعام للمسافر وزائريه عند الرّجوع من السّفر.**
- **الخاتمة.**

– الفرع الأوّل : التّبكير عند إرادة السّفر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

راعى الإسلام أفضليّة الزّمن وأولويته، فقدّم وقتا، وأخّر آخر .. وعندما نظر إلى المسافر وما قد يعتريه من مشقّة وضيق، بسبب ما سيبذله من جهد وطاقة .. ارتضى له أوّل النهار، لما فيه من بركة الرّحمان .. وزيادة نشاط .. وراحة نفس .. واطمئنان بال :

عن صخر العامري –τ– أنّ النّبي –ρ– قال : [***اللّهم بارك لأمّتي في بكورها***]، وكان إذا بعث سريّة أو جيشًا، بعثهم في أوّل النّهار، وكان صخر رجلا تاجرًا، وكان إذا بعث تجارة بعثهم أوّل النّهار، فأثرى وكثر ماله[1].

- قال المباركفوري : " قوله : [***في بكورها***]، أي أوّل نهارها "[2].
- وقال ابن حجر : "قوله –ρ– : [***بورك لأمتي في بكورها***]، لا يمنع جواز التصرّف في غير وقت البكور، وإنّما خصّ البكور بالبركة لكونه وقت النّشاط "[3].
- وقال الدكتور محمود الحريري : "ولا شك أنّ الأخذ بهذه السنّة مدعاة للسلامة في هذا العصر، الذي تغيّرت فيه وسائل النّقل، وأصبحت قيادتها تحتاج إلى راحة ونشاط، وفي مخالفتها التّلف والهلاك والفساد"[4].

- من خلال هذا التوجيه النبوّي للمسافر بأن يُبَكّر عند سفره، ويختار أوّل النّهار .. فيه إرشاد إلى تقليل النّصب عنه .. وتجنّب الزّحام الذي تعمر به الطّرق في غير هذا الوقت .. ذلك أن كثيرا من الخلق في هذا الزّمان أصبحوا من أمم النّوم والغفلة، وانخلعوا عن دأب أمّة الإسلام : أمّة اليقظة والبكور .. نعم هكذا كان التّشريع الإسلامي واضحا في اختيار الأنسب للمسافر زمنا، كوقاية له ولغيره من كل حادث ومن كلّ سوء .. فيا لها من بركة ! ويا له من فضل !.

– الفرع الثاني : الصّلاة عند بداية ونهاية السّفر.

استنادًا لسنّة نبيّنا محمد –ρ– الذي جعلت قرّة عينه في الصّلاة .. والتي هي صلة وثيقة ورباط متين بين المخلوق وخالقه .. لذا أرشد الإسلام هذا المكلّف في سفره إلى هذه الشعيرة : من صلاة ركعتين، حتّى يأنس بمعيّة ربه .. فلا ينتابه حزن، ولا يغشاه خوف :

أ/– عند بداية السفر :

عن النّبي –ρ– قال : [***ما خلّف عبد على أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السّفر***][5].

- هذا الحديث ضعيف لكن استدلّ به بعض العلماء على استحباب صلاة ركعتين :

---

(1) – أخرجه :
- التّرمذي في سننه (337/4) ح (1230) أبواب : البيوع، باب : في التّكبير بالتّجارة.
- وقال عنه الألباني : "صحيح". صحيح سنن الترمذي (4/2) ح (1235).

(2) – المباركفوري : تحفة الأحوذي (337/4).

(3) – ابن حجر : فتح الباري (114/6).

(4) – محمود الحريري : آداب السفر (159).

(5) – أورده :
- السّيوطي في الجامع الصغير (495/2) ح (7900) – قال الألباني : " ضعيف الإسناد " الكلم الطيب(1/ 140).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال النّووي : "يستحب إذا أراد الخروج من منزله أن يصلّي ركعتين، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة { ﴿ ﴾ } وفي الثانية { ﴿ ﴾ }... "[1].

ب/- **عند الرّجوع من السّفر :**

- قال كعب بن مالك : كان النّبي -ρ- إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلّى فيه، وعن جابر -τ- قال : أتيت النّبيّ -ρ- وهو في المسجد، فقال [***صلّ ركعتين***][2].
- قال ابن حجر : "... إنّ جابرًا أُمر بهاتين الرّكعتين : عند قدومه من السّفر ... قال النّووي : هذه الصّلاة مقصودة للقدوم من السّفر ينوي بها صلاة القدوم"[3].
- وهاتان الرّكعتان سنّة القدوم يصلّيهما حيث شاء —حتّى في منزله- وإن كان الأولى الإتيان بهما في المسجد، إذ من السنّة البداءة بالمسجد عند القدوم من السّفر، قال النّووي : "السنّة إذا وصل إلى منزله أن يبدأ قبل دخوله بالمسجد القريب إلى منزله، فيصلّي فيه ركعتين بنيّة صلاة القدوم"[4].

• هكذا يُبقي الإسلام تلك الصّلة وثيقة بين الإنسان وربّه في حلّه وترحاله، فهو يقف بين يديه في صلاته، يبتغي صحبته ومعيّته وهو يريد السّفر .. ثم يعاود فعل الصّلاة ثانية بعد رجوعه من سفره وقد أنعم عليه بأن أرجعه إلى أهله معافى سالما غانما .. لذلك كانت أُولى وقفات الشّكر لله —*جلّ وعلا*- أن يكون بين يديه راكعا ساجدًا .. يطلب عونه وستره، ويشكر فضله وجوده .. فهو وحده -I- أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين.

- الفرع الثّالث : توديع الأحباب ووصيّة الأهل للمسافر في سفره.

نظرا للرّوابط القويّة التي تربط بين بني الإنسان .. ونظرًا للوحشة والشّوق الذي يتركه البعد والفراق بين الأحبة والأصدقاء .. تأتي شريعة الإسلام لكي تُخفّف ممّا قد يعتلج في الأفئدة من ألم السّفر، ولوعة الفراق .. فتسنّ هذه السنّة : سنة التقابل والاجتماع ثم التّوديع بالمعانقة والمصافحة، بعد أن يتواصوا فيما بينهم بالحقّ، ويتواصوا بالصّبر :

1/ عن أبي هريرة -τ- قال بعثنا رسول الله -ρ- في بعث ... -إلى أن قال- : ثمّ أتيناه نودّعه حين أردنا الخروج[5].

- قال ابن حجر : "التّوديع عند السّفر ... أعمّ من أن يكون من المسافر للمقيم، أو عكسه، وحديث الباب ظاهر للأوّل

---

(1) - النّووي : المجموع (399/4)، وانظر : المناوي : فيض القدير (443/5).

(2) - أخرجه :

- البخاري في صحيحه (537/1) ح (443) كتاب : الصّلاة، باب : الصّلاة إذا قدم من سفر.

(3) - ابن حجر : فتح الباري (537/1).

(4) - النّووي : المجموع (399/4).

(5) - أخرجه :

- البخاري في صحيحه (115/6) ح (2954) كتاب : الجهاد، باب : التّوديع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-أي توديع المسافر لغيره-، ويؤخذ الثّاني -أي توديع الأهل للمسافر- منه بطريق الأولى، وهو الأكثر في الوقوع"[1].

2/ عن ابن عمر قال : كان النّبيّ -ρ- إذا ودّع رجلا أخذ بيده، فلا يدعها حتّى يكون الرّجل هو يدع يد النّبيّ -ρ- ويقول : [***استودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك***][2].

- قال المباركفوري : "قوله : "**إذا ودّع رجلاً**" أي : مسافرًا، أخذ بيده فلا يدعها" أي : فلا يترك يد ذلك الرّجل من غاية التّواضع، ونهاية إظهار المحبّة والرّحمة، "يقول" أي : للمودع، [***أستودع الله دينك***] أي : استحفظ وأطلب منه حفظ دينك، [***وأمانتك***] أي : حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة النّاس في السّفر، إذ قد يقع منك هناك خيانة ... [***وآخر عملك***] ... الأظهر أنّ المراد به حسن الخاتمة لأنّ المدار عليها ... ويؤيده قوله : [***وخواتيم عملك***] -في الرّواية الثانية عن ابن عمر-[3] ... "[4].

- وقال النّووي : "يستحب أن يودّع أهله وجيرانه وأصدقاءه وسائر أحبابه، وأن يودّعوه، ويقول كل واحد لصاحبه : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زوّدك الله التّقوى، وغفر لك ذنبك، ويسّر الخير لك حيثما كنت"[5].

3/ عن أبي هريرة -τ- : أنّ رجلا قال : يا رسول الله إنّي أريد أن أسافر فأوصني، قال : [***عليك بتقوى الله، والتّكبير على كلّ شرف***]، فلما أن ولّى الرّجل قال : [***اللّهم أَطْوِ له البعد، وهوّن عليه السّفر***] [6].

- قال المباركفوري : "قوله [***عليك بتقوى الله***] أي : بمخافته والحذر من عصيانه، [***والتّكبير***] أي قول : الله أكبر ... [**على كلّ شرف**] ... أي : مكان عال، "فلمّا أن ولّى الرّجل" أي : أدبر ... دعا له بظهر الغيب فإنّه أقرب إلى الإجابة، [***اللّهم أَطْوِ له البعد***] أمر من الطّي، أي قرّبه له وسهّل له، والمعنى : ارفع عنه مشقّة السّفر بتقريب المسافة البعيدة له حسّا أو معنى، [***وهوّن عليه السّفر***] أي : أموره ومتاعبه"[7].

4/ عن أبي هريرة -τ- قال : قال رسول الله -ρ- : [***ثلاث دعوات مستجابات : دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده***][8].

---

(1) - ابن حجر : فتح الباري (115/6).

(2) - أخرجه :
- الترمذي في سننه (284/9) ح (3669) أبواب : الدّعوات، باب : ما جاء ما يقول إذا ودّع إنسانا، وقال عنه : "هذا حديث غريب".
- وقال عنه الألباني : "صحيح" صحيح سنن التّرمذي (155/3) ح (2738).

(3) - أخرجها الترمذي أيضا في أبواب الدعوات، وفي الباب السّابق ذكره -آنفا-، وقد صححها الألباني أيضا.

(4) - المباركفوري : تحفة الأحوذي (284/9-285).

(5) - النّووي : المجموع (388/4).

(6) - أخرجه :
- الترمذي في سننه (286/9) ح (3672) أبواب : الدّعوات، باب : منه وقال عنه : "هذا حديث حسن".
- وقال عنه الألباني : "صحيح" صحيح سنن التّرمذي (156/3) ح (2740).

(7) - المباركفوري : تحفة الأحوذي (286/9).

(8) - أخرجه :
- الترمذي في سننه (286/9) ح (3673) أبواب : الدّعوات، باب : ما ذكر في دعوة المسافر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- قال المباركفوري : "... قوله : [***ودعوة المسافر***]، يحتمل أن تكون دعوته بالخير لمن أحسن إليه، وبالشرّ لمن آذاه وأساء إليه "[1].

- وقال النّووي : "يستحب أن يدعو له من يودّعه، وأن يطلب منه الدّعاء"[2].

- وعلى المسافر أن يداوم على الدّعاء في سفره، قال النّووي أيضا : "ويستحب له أن يدعو في سفره في كثير من الأوقات، لأنّ دعوته مجابة"[3].

- نعم ! هذه أخوّة الإيمان، وأخوّة الإسلام .. حاضرة في الحضر، وحاضرة عند السّفر .. فالمسافر يودّع أهله وجيرانه وأصدقاءه وسائر أحبابه، وهم يشاركونه ويبادلونه هذا التّوديع .. ولسان كلّ واحد منهم يلهج داعيّا الباري –جلّ وعلا–: أن يحفظ دينه وأمانته، ويحسن خاتمة أمره في الدّنيا وفي الآخرة .. فالكلّ في مجلس الوداع يدعو، والكلّ يؤمّن على دعاء صاحبه .. أمين آمين يا ربّ العالمين !.

- الفرع الرّابع : ما يدعو به المسافر في سفره.

لما كان الإسلام الدّين الذي يجمع بين المادّة والرّوح، وبين الحسّ والغيب، ويؤمن بالعلاقة الوطيدة بين الأسباب ومسبباتها ... فقد أمرنا هذا الدّين أن نذكّر المسافر بواجب اللّجوء إلى ربّ الأسباب، ومنزل البلاء، ضارعا متذللا إليه بالرّجاء والدّعاء .. فما من شيء يمكن أن يردّ القضاء إلاّ الدّعاء .. وها هو نبيّنا محمد –υ– يعلّم أمّته أذكارًا وأدعية تلهج بها الألسن ضارعة إلى مولاها الباري –Y– أن يوفقها ويسدّد خطاها في سيرها وسفرها :

1/ عن علي الأزدي أنّ ابن عمر علّمهم أن رسول الله –τ– كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى السّفر، كبّر ثلاثا، ثم قال : [{ ✂☒⓿🕓🖂♎ 🖋❑✡♦☜ ♦❷⊙②🖂♌ ❽🔏🕭⅄🖋🖋✂ ⌘Ⅱ🕓🖂♦⬀⌛←♌ 🖋🖋✸✡🔏◑◆❑ ، ♦✖✓🔏✡🎏❷↘◑↖🖑 ◑←❍♦☜ 🖋❑☪→🖹 🖋♦🖑◆❑ ◑🔏❑←🖮🔏🖬♦◑☪←☺♦☜ 🖋◆☪🔏■📪◆❻ 🗐❼■🖫🔏◑ } ***اللّهمّ إنّا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتّقوى، ومن العمل ما ترضى اللّهمّ هوّن علينا سفرنا هذا، واطْو لنا بعده، اللّهم أنت الصّاحب في السّفر، والخليفة في الأهل، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السّفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل***].

وإذا رجع فالهنّ، وزاد فيهنّ : [***آيبون تائبون عابدون، لربّنا حامدون***] [4].

- وقال عنه الألباني : "حسن" صحيح سنن التّرمذي (156/3) ح (2741).

(1) – المباركفوري : تحفة الأحوذي (287/9).

(2) – النّووي : المجموع (388/4).

(3) – النّووي : المجموع (396/4).

(4) – أخرجه :

- مسلم في صحيحه (978/2) ح (1342) كتاب : الحجّ، باب : ما يقول إذا ركب إلى سفر الحجّ وغيره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- قال النّووي : "... في هذا الحديث : استحباب هذا الذّكر عند ابتداء الأسفار كلّها، وقد جاءت فيه أذكار كثيرة ... و[**الوعثاء**] ... هي المشقّة والشدّة، [**والكآبة**] ... وهي : تغيّر النّفس من حزن ونحوه، [**والمنْقلب**] ... : المرجع ... "[1].

2/ ما يدعو به المسافر عند نزوله بلدا معيّنًا :

- عن خولة بنت حكيم أنّ رسول الله -ρ- قال : [***من نزل منزلا فليقل أعوذ بكلمات الله التّامات من شرّ ما خلق، فإنّه لا يضرّه شيء حتّى يرتحل*** **-إن شاء الله-**][2].
- قال النّووي : "قوله : [***أعوذ بكلمات الله التّامّات***] قيل معناه : الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب، وقيل : النّافعة الشّافية، وقيل : المراد بالكلمات هنا : القرآن. -والله أعلم-"[3].

3/ ما يدعو به المسافر إذا خاف قوما :

- عن أبي موسى أنّ النّبيّ -ρ- كان إذا خاف قوما قال : [***اللّهم إنّا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم***][4].
- قال العظيم آبادي : "والمعنى : نسألك أن تصدر صُدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفينا أمورهم، وتحول بيننا وبينهم"[5].

- فالهجوا أيّها المسافرون بمثل هذه الأذكار والأدعية لحافظكم ومولاكم الله -جلّ وعلا- .. فيقيكم - بعون وإذنه- شرّ البلاء .. فباب الله مفتوح لقارعه، وإغاثته حاضرة لمن استغاث به، وإجابته محقّقة لمن دعاه.

- الفرع الخامس : تفضيل الجماعة في السّفر.

الإسلام دين الجماعة والتّعاون والأنس .. لذا استحبّ للمسافر وهو يبعد عن أهله وذويه أن يختار السّفر مع رفقة صالحة آمنة، تعينه على وعثاء السّفر والصّبر على مشاقة وأغواره .. حتى يدرك غايته بكلّ آمان وسلام .. أمّا إن تعذّر عليه ذلك، فإنّ الإسلام لا يمنع عنه السّفر في هذه الحالة، ما دام أنّه استحضر معيّة الله وصحبته .. وقد توالت العديد من نصوص السنّة الشريفة محبّبة الجماعة في السّفر وبيان فضلها :

1/ عن ابن عمر -τ- قال : قال : رسول الله -ρ- : [***لو يعلم النّاس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده***][6].

---

(1) - النّووي : شرح صحيح مسلم (122/5)، وانظر : البغوي : شرح السنّة (131/3).

(2) - أخرجه :
- مسلم في صحيحه (2080/4) ح (2708) كتاب : الذّكر والدّعاء والتّوبة والاستغفار، باب : في التعوّذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

(3) - النّووي : شرح صحيح مسلم (38/9).

(4) - أخرجه :
- أبو داود في سننه (89/2) ح (1537) كتاب : الصلاة، باب : ما يقول الرّجل إذا خاف قوما.
- وقال عنه الألباني : "صحيح" صحيح سنن ابي داود (421/1).

(5) - العظيم آبادي : عون المعبود (277/4).

(6) - أخرجه :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- قال ابن حجر : "... يؤخذ ... جواز السّفر منفردًا للضرورة والمصلحة التي لا تنتظم إلاّ بالانفراد ... والكراهة لما عدَا ذلك، ويحتمل أن تكون حالة الجواز مقيّدة بالحاجة عند الأمن، وحالة المنع مقيّدة بالخوف حيث لا ضرورة "[1].

- وقال في موضع آخر : " ... جواز السّفر وحده، وأنّ النّهي عن السّفر وحده إنّما هو حيث لا تدعو الحاجة إلى ذلك "[2].

- وقال النّووي : "يستحب أن يرافق في سيره جماعة ... وينبغي أن يسير من النّاس ولا ينفرد بطريق"[3].

2/ عن سعيد بن المسيب عن رسول الله –ρ– قال : [***الشيطان يَهُمُ بالواحد وبالاثنين، فإذا كانوا ثلاثة لم يهُمُم بهم***] [4].

- قال الزرقاني : " ... [***الشيطان يهمم بالواحد والاثنين***] أي باغتياله والتسلّط عليه أو بَغْيه وصرفه عن الحقّ وإغوائه بالباطل ... [***فإذا كانوا ثلاثة لم يهمم بهم***]، لأنّهم ركب وصحب"[5].

- وقال الباجي : "... الجماعة أبعد من الخطأ من الواحد والاثنين"[6].

- وقال البغوي : "... قال الخطابي : فإذا كانوا ثلاثة تعاونوا، وتناوبوا المهنة والحراسة، وصلّوا الجماعة، وأحرزوا الحظّ فيها"[7].

- وبيّن النّووي –رحمه الله– فضل الرفقة الطّيبة، فقال : "يستحب له أن يطلب رفيقا موافقا راغبا في الخير كارها للشرّ، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه، وإن تيسّر له مع هذا كونه عالما فليتمسّك به، فإنّه يمنعه بعلمه وعمله من سوء ما يطرأ على المسافر من مساوئ الأخلاق والضّجر، ويعينه على مكارم الأخلاق ويحثّه عليها ... ثمّ ينبغي أن يحرص على إرضاء رفيقه في جميع طريقه، ويحتمل كلّ واحد منهما صاحبه، ويرى لصاحبه عليه فضلا وحرمة، ويصبر على ما يقع منه في بعض الأوقات"[8].

- وبالجملة فإنّنا نقول أن أمر السّفر موكول إلى ما تقتضيه الظروف والأحوال .. فالمرء لو خيّر بين الجماعة والوحدة، فالأولى له أن يصطحب الجماعة، لما في ذلك من الأنس والاطمئنان النّفسي اللّذين في حاجّة ماسّة لهما كل مسافر ومغترب عن أهله .. وهذه السنّة –السّفر في جماعة– فضلها باق ومستديم مهما تطوّرت وسائل النّقل وتنوّعت .. بل الناظر في أحوال النّاس اليوم يدرك بجلاء مدى أهميّة الصّحبة والرّفقة الطيّبة في زمان أصبح يعج بكلّ أمواج الفتن والابتلآت التي تعصف بالأمم والجماعات ناهيك عن الأفراد .. فالصّحبة **!** الصّحبة **!** .. أخي المسافر **!!** .. والتّقوى **!** التّقوى **!** في المسير والسّفر **!!**.

- البخاري في صحيحه (137/6) ح (2998) كتاب : الجهاد، باب : السّير وحده.

(1) – ابن حجر : فتح الباري (138/6).

(2) – ابن حجر : فتح الباري (53/6).

(3) – النّووي : المجموع (389/4-390).

(4) – أخرجه :

- مالك في موطئه (693) ح (1788) كتاب : الجامع، باب : ما جاء في الوحدة في السّفر للرّجال والنّساء.

(5) – الزرقاني : شرح الزرقاني على الموطأ (501/4).

(6) – الباجي : المنتقى شرح الموطأ (304/7).

(7) – البغوي : شرح السنّة (557/5).

(8) – النّووي : المجموع (387/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الفرع السّادس : اختيار أمير في السّفر.

إنّ الشّارع الحكيم في تشريعاته لعباده المؤمنين، حرص كلّ الحرص على غلق باب التفرّق والاختلاف، وخاصّة عندما تتعدّد الآراء، وتتنوّع وجهات النّظر بين العباد ... وهذا مما اقتضته فطرة الله في خلقه ... ولما كان السّفر في جماعة قد يفضي إلى مثل هذا .. جاءت شريعة الإسلام حامية وحدة الصّف والجماعة، ومحافظة عليها .. فسنّت اتخاذ أمير وقائد للجماعة في سفرها إن زاد أفرادها على ثلاثة :

عن أبي هريرة –τ– أنّ رسول الله –ρ– قال : [***إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم***][1].

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري –τ– قال –υ– : [***إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم***][2].

- قال العظيم آبادي : "قوله : [***إذا كان ثلاثة***] ... والمعنى : أنّه إذا كان جماعة وأقلّها ثلاثة، [***فليؤمّروا أحدهم***] أي فليجعلوا أحدهم أميرًا عليهم"[3].
- وقد علّل الخطابي أمر اتّخاذ أمير، فقال : " إنّما أمر رسول الله –ρ– بذلك ليكون أمرهم جميعا، ولا يتفرّق بهم الرّأي، ولا يقع بينهم خلاف فيعنتوا "[4].
- وقال النّووي : "يستحب أن يؤمّر الرّفقة على أنفسهم أفضلهم وأجودهم رأيا، ويطيعونه"[5].
- قال محمود الحريري : "والمستقرئ لتشريع الإسلام يرى حرصه على النّظام دائما، وقطعه دابر الفوضى والاختلاف، حتّى في الأمور العارضة والقصيرة كالسّفر مثلا، كما يرى المطّلع على تاريخ الإسلام استجابة خيار الأمّة لذلك، منذ صدر الإسلام وحتّى عصرنا الحاضر"[6].

- تضمّن التشريع الإسلامي الحنيف كثيرًا من الأحكام الرّبانية التي تهدف إلى تقوية الجماعة وحماية صفها من التصدّع خاصّة عند السّفر .. فسدّا لمحظور الفرقة والاختلاف .. فإنّه ندب **–υ–** إلى جعل قيادة للجماعة المسافرة، حتّى يكون قرارهم واحدًا، فتتوحّد وجهتهم، ويجتمع أمرهم .. فلا الرّأي يفرقهم، ولا الشّقاق ينغّص مسيرهم .. فكلّ باب فيه ضرر للخلق وشقّ صفهم أغلقه الإسلام وأوصده، وكلّ هذا يدلّ على مدى حرص أحكام الإسلام على الوحدة والجماعة.

---

(1) – أخرجه :
- أبو داود في سننه (36/3) ح (2609) كتاب : الجهاد، باب : في القوم يسافرون يؤمّرون أحدهم.
- وقال عنه الألباني : "حسن صحيح" صحيح سنن أبي داود (125/2) ح (2609).

(2) – أخرجه :
- أبو داود في سننه (36/3) ح (2608) كتاب : الجهاد، باب : في القوم يسافرون يؤمّرون أحدهم.
- وقال عنه الألباني : "حسن صحيح" صحيح سنن أبي داود (125/2) ح (2608).

(3) – العظيم آبادي : عون المعبود (192/7).

(4) – الخطابي : معالم السنن (414/3).

(5) – النّووي : المجموع (390/4).

(6) – محمود الحريري : آداب السّفر (170).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الفرع السّابع : التّأني وعدم السّرعة أثناء المسير في السّفر.

حفاظا على النّفس البشريّة في الحضر والسّفر ... وجدنا أنّ السنّة المطهّرة دعت المسافر، وهو يعزم على شقّ طريقه نحو غايته أن يتأنى في مسيره ولا يتعجّل أمره .. فالعجلة في مثل هذا وخيمة عاقبتها، سيّما في عصرنا الحالي – عصر السّرعة واستباق الزّمن –، الذي حُصدت فيه آلاف من أرواح الخلق بسبب ما تعجّله سائقوا القطارات والحافلات والسيارات ...

فلأجل آمان المسافر وراحته، كانت شريعة الإسلام سباقه في وضع كثير من التّدابير الوقائيّة التي تهدف إلى تحقيق الرّعاية الكاملة للمسافر في سفره .. والتي ما فطنت إليها الحضارة الإنسانية، وقوانين المرور العامّة إلاّ في عهد قريب :

1/ عن هشام بن عروة عن أبيه، بأنّه قال : سُئل أسامة وأنا جالس : كيف كان رسول الله –ρ– يسير في حجّة الوداع حين دفع ؟ قال : كان يسير العَنَق، فإذا وجد فجوة نصّ[1].

- قال ابن حجر : " قوله : "العَنَق" هو : السّير الذي بين الإبطاء والإسراع ... قوله : "نَصَّ" أي : أسرع ... وقال هشام : النصّ فوق العنق "[2].
- وقال أيضا : "... قال ابن عبد البرّ : في هذا الحديث ... يجمع بين المصلحتين : من الوقار والسّكينة عند الزّحمة، ومن الإسراع عند عدم الزّحام، وفيه (أي هذا الحديث) : أنّ السّلف كانوا يحرصون على السؤال عن كيفيّة أحواله –ρ– في جميع حركاته وسكونه ليقتدوا به في ذلك"[3].

2/ عن ابن عبّاس –رضي الله عنهما– أنّه دفع من مع النّبيّ –ρ– يوم عرفة، فسمع النّبيّ –ρ– وراءه زجرًا شديدًا، وضربا، وصوتا للإبل، فأشار بسوطه إليهم، وقال : [***أيّها النّاس، عليكم بالسكينة، فإنّ البرّ ليس بالإيضاع***] [4].

- قال البغوي : "والإيضاع : حمل الرّكاب على العدْوِ السّريع"[5].
- وقال ابن حجر : "قوله : " زجرًا " ... أي صياحًا لحثّ الإبل ... وقوله [***عليكم بالسكينة***] أي في السّير والمراد : السّير بالرّفق وعدم المزاحمة، وقوله : [***فإنّ البرّ ليس بالإيضاع***] أي : السّير السّريع ... فبيّن –ρ– أنّ تكلّف الإسراع في السّير ليس من البرّ، أي : ممّا يتقرّب به، ومن هذا أخذ عمر بن عبد العزيز قوله لما خطب بعرفة : "ليس السّابق من سبق بعيره وفرسه، ولكنّ السّابق من غُفِرَ له"، وقال المهلّب : "إنّما نهاهم عن الإسراع إبقاء عليهم لئلا يُجحفُوا بأنفسهم مع بعد المسافة "..."[6].

---

(1) – أخرجه :
- البخاري في صحيحه (518/3) ح (1666) كتاب : الحج، باب : السّير إذا دفع من عرفة.

(2) – ابن حجر : فتح الباري (518/3).

(3) – ابن الحجر : فتح الباري (519/3).

(4) – أخرجه :
- البخاري في صحيحه (522/3) ح (1671) كتاب : الحجّ، باب : أمر النّبيّ –ρ– بالسّكينة عند الإفاضة.

(5) – البغوي : شرح السنّة (97/4).

(6) – ابن حجر : فتح الباري (519/3-520).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وقال محمود الحريري : " ولا شك أنّ السرعة في العصر الحالي مدعاة للهلاك، فمعظم حوادث السّير من عدم الالتزام بقواعد السّير في السّرعة، فالمسرع نادم، لأنّه في الغالب ما حفظ نفسه، ولا وصل هدفه، كما في المثل العربي : "**المنبتُّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**"، وهو يقال : لمن ركب راحلته فأوسعها ضربا، يريد منها السّرعة، وفي منتصف الطّريق هلكت الدّابة، فلا هو بالذي وصل إلى غايته، ومقصده، ولا هو بالذي حفظ فرسه، وأبقى عليها"[1].

- وقد بيّن علماؤنا العديد من قواعد السّير بشكل عام، وذلك ما ذكره الإمام النّووي، حيث قال : "لا يجوز أن يحمل الدّابة فوق طاقتها، ولو استأجرها فحملها المؤجّر مالا تطيق لم يجز للمستأجر موافقته ... ويستحب أن يريح دابته بالنّزول عنها غدوة وعشية ... والسنّة أن يراعي مصلحة الدابة في المرعى والسّرعة والتأني بحسب الأرفق بها"[2].

وبما أن وسائل النقل في زماننا الحالي قد اختلفت وتنوّعت .. يمكن تطبيق هذه القواعد التي ذكرها علماؤنا عليها .. وهذا ممّا علّق به محمود الحرير، فقال : "يرى الباحث في طيّات كتب السّلف نصوصًا تتحدّث عن الآداب المتعلّقة بوسائل النّقل : كعدم تحميل الدابة فوق طاقتها، وإراحتها بين الحين والحين، ومراعاة مصلحتها من طعام ومرعى، وإذا كانت هذه الآداب قد صيغت بلغة عصرها، المناسبة لوسائل النّقل المتوافرة في حينها، فهي ولا شك تصلح للأخذ بها، وتحويلها إلى قواعد عصريّة للسّلامة في السّير، ومن هذه القواعد منع تحميل السّيارة أكثر من طاقتها المسموح بها والمرخّص لها من ذوي العلم والاختصاص ... وإذا كان الباعث لذلك الحكم هو الرّفق بالحيوان، فالأخذ بهذه القواعد أولى، لأنّ بها الرّفق بالإنسان وبالصّالح العام، فمنع الناقلات من زيادة الحمولة وزنا وارتفاعا، منع للحوادث وحفظ للطّرق، وصيانة للأموال من التلف، وكذلك منع وسائل النّقل من زيادة عدد الرّكاب حفظ لأرواحهم وتأمين لسلامتهم، ومن هذه القواعد : صيانة المركبة وتفقد أجزائها، وضمان سلامتها بإصلاح خللها وتأمين حاجاتها خلال السّفر وقبل الشّروع فيه ... إذْ يعدّ التّفريط في هذا مدعاة لتحمّل كامل المسؤولية عن إزهاق الأرواح وتلف الأموال ... ومن هذه القواعد أيضا إراحة المركبة وسائقها كلّما دعت لذلك حاجة أو مصلحة"[3].

- هذه بعض التّدابير الوقائية التي زخرت بها شريعة الإسلام، وبيّنها علماؤنا الأفذاذ .. والتي ما فطنت إليها الحضارة الإنسانية المعاصرة إلاّ في العهود القريبة .. نعم ! هكذا يسبق التّشريع الإسلامي، جميع اللوائح والقوانين في وضع التّدابير العامّة للوقاية من أخطار الأسفار والطّرق .. فيا له من تشريع ! .. ويا له من سبق ! ..

- الفرع الثّامن : إعطاء الطّريق حقّه في السّفر.

الطريق مسلك المسافر في سيره .. لذا وجدنا السنّة النبويّة المطهّرة قد بيّنت حقوق الطّريق وفصّلتها أيّما تفصيل، من : كفّ للأذى، وهداية للضّال، وإعانة على الحمل، وعدم اتّخاذها مجلسا للاستراحة أو ملجأ للنّوم .. وقد روعي كلّ هذا من أجل توفير كامل الحماية لهذا المسافر ولغيره من الخلق :

---

(1) - محمود الحريري : آداب السّفر (173).

(2) - النّووي : المجموع (4/390-392)، وانظر : شرحه على صحيح مسلم (7/78).

(3) - محمود الحريري : آداب السّفر (173-175).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1/ عن أبي سعيد الخدري –τ– أنّ النّبيّ –ρ– قال : [***إيّاكم والجلوس بالطّرقات***]، فقالوا : يا رسول الله **!** مالنا من مجالسنا بدٌّ نتحدث فيها، فقال : [***فإذا أبيتم إلاّ المجلس، فأعطوا الطّريق حقّه***]، قالوا : وما حقّ الطّريق يا رسول الله ؟ قال : [***غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السّلام، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر***] [(1)].

- ذكر ابن حجر زيادة على هذه الحقوق – التي ذكرت في هذا الحديث – حقوقا أخرى تضمنتها أحاديث غير هذا الحديث، فقال : "حسن الكلام ... إرشاد ابن السّبيل، وتشميت العاطس إذا حمد ... وتغيثوا الملهوف، وتهدوا الضّال ... وأعينوا على الحمولة ... ذكر الله كثيرًا ... ومجموع ما في هذه الأحاديث أربعة عشر أدبًا"[(2)].

2/ عن أبي هريرة –τ– قال : قال رسول الله –ρ– : [... ***وإذا عرّستم بالليل، فاجتنبوا الطّريق، فإنّها مأوى الهوّام بالليل***] –وفي الرّواية الثانية– [***وإذا عرّستم باللّيل، فاجتنبوا الطّريق، فإنّها طرق الدّواب، ومأوى الهوام باللّيل***] [(3)].

- قال النّووي : " ... قال أهل اللّغة : التّعريس : النزول في أواخر اللّيل للنّوم والرّاحة، هذا قول الخليل والأكثرين، وقال أبو زيد : هو النّزول أيّ وقت كان من ليل أو نهار ... –والنّهي عن التعريس في الطّرق– أدب من آداب السّير والنّزول، أرشد إليه –ρ– لأنّ الحشرات ودواب الأرض من ذوات السّموم والسّباع تمشي في اللّيل على الطّرق لسهولتها، ولأنّها تلتقط منها ما يسقط من مأكول ونحوه، وما تجد فيها من رمة ونحوها، فإذا عرّس الإنسان في الطّريق ربّما مرّ به منها ما يؤذيه، فينبغي أن يتباعد عن الطّريق "•[(4)].

- هكذا تُجلّي السنّة النّبوية حقوق الطّريق .. وعدم الاستحواذ عليها لغير المسير .. إذ كم من حوادث زهقت ألاف الأرواح، وكان سببها الإخلال بآداب الطّريق : كالوقوف أو الجلوس عليها، أو قطعها دون احتياط واعتبار للآخرين .. وكم من زحام وفوضى وغيلان .. أدّى إلى الشجار حتّى المقاتلة في بعض الأحيان، لعدم مراعاة حق الطّريق .. فسدّا لهذه المخالفات وغيرها أرشد رسول الإسلام –υ– إلى كيفية الأخذ بهذا الحقّ من قبل الجميع، بنفوس راضية، ومشاعر مطمئنة .. فعلى الأمّة الاقتداء بنبيّها فيما أمر ونهى في أمر الطّريق .. –وبالله التوفيق– .. الكلّ يسير، والجميع يمرّ .. بكلّ آمان وبكلّ سلام.

– الفرع التّاسع : التّعاون وحسن المعاشرة في السّفر.

---

(1) – أخرجه :

- البخاري في صحيحه (8/11) ح (6229) كتاب : الاستئذان، باب : قول الله تعالى : { ☎✂❑➔❐↗⌘⇳⑨♦✍ •• ⇳✍❑➔☠ ⇳✍❑➔☠ ◆❸↗❷☒➘ ✍⓿✍❑➔☠ }.

- مسلم في صحيحه (1675/3) ح (2121) كتاب : اللّباس والزينة، باب : النّهي عن الجلوس في الطّرقات.

(2) – ابن حجر : فتح الباري (11/11).

(3) – أخرجهما مسلم في صحيحه (1525/3-1526) ح (1926) كتاب : الإمارة، باب : مراعاة مصلحة الدّواب في السّير، والنّهي عن التعريس في الطّريق.

(4) – النّووي : شرح صحيح مسلم (79/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترجمت الحضارة الإسلامية روح التعاون وحسن المعاشرة في السّفر إلى واقع عملي وصور ملموسة رسمتها سلوكات الجيل الأول لهذه الأمّة وعلى رأسهم نبيّها –υ– في كثير من المواقف :

1/ عن جابر بن عبد الله –τ– عن النّبيّ –ρ– قال : [***كل معروف صدقة***][1].

- قال ابن حجر : "... قال ابن بطّال : دلّ هذا الحديث على أنّ كلّ شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة "[2] والإعانة في السّفر من أوجب المعروف فيما بين المسافرين.
- وقال النّووي : يسنّ مساعدة الرّفيق وإعانته، لقوله : [***كل معروف صدقة***]"[3].

2/ عن أبي سعيد الخدري –τ– قال : بينما نحن مع رسول الله –ρ– إذْ جاء رجل على راحلة له ... فقال رسول الله –ρ– : [***من كان له فضل ظهر فلْيَعُد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فلْيَعُد به على من لا زاد له***][4].

- قال النّووي : " في هذا الحديث الحثّ على الصّدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرّفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج ... وفيه : مواساة ابن السّبيل والصّدقة عليه إذا كان محتاجا، وإن كان له راحلة وعليه ثياب، أو كان موسرًا في وطنه"[5].
- فالواجب بين المسافرين أن تسود بينهم روح التعاون وحسن الخلق وحسن المواساة، قال النّووي : "... ينبغي له (أي : المسافر) أن يستعمل الرّفق وحسن الخلق مع الغلام ... والسّائل وغيرهم، ويتجنّب المخاصمة والمخاشنة ومزاحمة النّاس في الطّرق ... وأن يصون لسانه من الشتم والغيبة ... وجميع الألفاظ القبيحة، ويرفق بالسّائل والضّعيف، ولا ينهر أحدًا منهم، ولا يوبّخه على خروجه بلا زاد وراحلة، بل يواسيه بما تيسّر، فإنْ لم يفعل ردّه ردّا جميلا ... لقوله تعالى { ﴿ ﴾ } [الأعراف : (199)].

... ويستحب لكبير الرّكب – أي الأمير– أن يسير في آخره ... فيحمل المنقطع أو يعينه ... لأنّ رسول الله –ρ– كان يتخلّف في المسير فيرجي الضّعيف ويردف ويدعوا له ... ويستحب خدمة المسافر الذي له نوع فضيلة وإن كان الخادم أكبر سنّا ... ويستحب للرّفقة في السّفر أن ينزلوا مجتمعين، ويكره تفرّقهم لغير حاجة"[6].

- هذه بعض تعاليم الإسلام التي دعا إليها المسافرين في سفرهم : فالتّعاون لا بدّ أن يسود .. والمواساة لا بدّ أن تقع .. والضّعيف لا بدّ أن يحمل .. والضّال لا بدّ أن يُهدى .. والمحروم لابدّ أن يُعطى .. والمنقطع لا بدّ أن يوصل .. والمفقود لابدّ

---

(1) – أخرجه :
- البخاري في صحيحه (447/10) ح (6021) كتاب : الأدب، باب : كل معروف صدقة.
- مسلم في صحيحه (697/2) ح (1005) كتاب : الزّكاة، باب : بيان أنّ اسم الصّدقة يقع على كلّ نوع من المعروف.

(2) – ابن حجر : فتح الباري (448/10).

(3) – النّووي : المجموع (393/4).

(4) – أخرجه :
- مسلم في صحيحه (1354/3) ح (1728) كتاب : اللّقطة، باب : استحباب المواساة بفضول الماء.

(5) – النّووي : شرح صحيح مسلم (275/6).

(6) – النّووي : المجموع (393/4، 394، 397).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن يفتقد .. والأمير لا بدّ أن يحترم .. والعالم لا بدّ أن يخدم .. فالكلّ يتلو ويردّد قول ربّه : { ﴿ ﴾ } [المائدة : (2)].

- الفرع العاشر : شراء الهدايا عند الرّجوع من السّفر.

إنّ النّفوس جبلت على حبّ العطايا والهدايا .. ولذا تجد أهل كلّ مسافر مُشرئبة أعناقهم عند قدوم غائبهم إلى ما تحمل يَدَاه من زاد ومتاع .. وهدايا المسافر لذويه توارثتها الأجيال عرفا وعادة، لما فيها من زرع للمودّة والمحبّة، وتوثيقا لعرى القرابة من وَالِدَيْن وبنين خاصّة، وجيران وأصدقاء عامّة .. ولأجل هذا اعتبرت الهديّة خلق من أخلاق الإسلام، تُؤلّف بها القلوب، وتُوصل بها الأرحام، وتمتّن بها أواصر الأحباب والخلان :

1/ عن عائشة –رضي الله عنها– أنّ رسول الله –ρ– قال : [***إذا قدم أحدكم من سفر، فَلْيُهد إلى أهله، وليطرفهم ولو كانت حجارة***][1].

- قال أبو الطيب الآبادي معلّقا على درجة هذا الحديث : " ... قال العزيزي : حديث عائشة ضعيف"[2].

ولكن رغم ضعفه فقد استأنس بالاستدلال به في استحباب الهدية من المسافر لأهله : قال النّووي : "... وممّن صرّح باستحباب حمل المسافر هديّة لأهله القاضي أبو الطّيب في تعليقه في كتاب الحجّ ..." [3].

وقد قال أبو الطّيب في شرحه لهذا الحديث : "... قوله : [***فليهد***] ... ندبا إلى أهله هديّة ممّا يُجلب من ذلك القُطر الذي سافر إليه، [***وليُطرفهم***] ... يأت لهم بشيء جديد لا ينتقل لبلدهم للبيع بل للهديّة ... ولا يقدم عليهم بغير شيء جَبْرًا لخواطرهم ما أمكن، ولتشوقهم إلى ما يقدم به "[4].

- وقد ورد حديث حسنٌ ذكره كثير من العلماء في مصنفاتهم نصّ على استحباب الهديّة، لما تجلبه من آثار للمحبّة والأنس بين النّاس :

- قال النّبي –ρ– [***تهادوا تحابوا***][5].

- قال المنّاوي –شارحا لهذا الحديث– "... لأنّ الهديّة خلق من أخلاق الإسلام، دلّت عليه الأنبياء، وحثّ عليه خلق، وهم : الأولياء، تؤلف القلوب، وتنفي سخائم الصّدور"[6].

---

(1) – أخرجه :
- الدار قطني في سننه (300/2) كتاب : الحجّ، باب : المواقيت.

(2) – أبو الطيب الآبادي : التّعليق المغني على الدار قطني (301/2).

(3) – النّووي : المجموع (399/4).

(4) – أبو الطيب الآبادي : التّعليق المغني على الدار قطني (301/2).

(5) – أخرجه :
- البيهقي في سننه (169/6) كتاب : الهبات، باب : التّحريض على الهبة والهدية صلة بين النّاس.
- وذكره السّيوطي في الجامع الصّغير (518/1) ح (3373).

(6) – المنّاوي : فيض القدير (271/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- هكذا يلتقي الأحباب والخلان مع مسافرهم، بعد غياب امتدّ وطال، وشوق تنامى واستفاض .. فالكلّ في أنس ومودة ورحمة .. فهذه هدايا تعطى، وتلك هبات تقدّم .. والكلّ في فرح ومرح، وسرور وبهجة بما أهدوا وكرّموا .. فطوبى لمن أهدى، وطوبى لمن كُرّم.

- الفرع الحادي عشر : إشعار المسافر أهله بوقت قدومه من السّفر.

إنّ هذا الدّين جاء وكلّه مراعاة للمشاعر والأحاسيس بين الخلق .. ونظرا لكمال تشريع الباري -Y- لمناحي الحياة كافّة .. فها هو نجده يحثّ المسافر الذي طال غيابه واشتدّت وحشته لأهله، أن يشعرهم بوقت قدومه، حتّى تتهيّأ له زوجته -خاصّة- فستقبله : بأبهى مظهر يرضاه، وعلى أجمل صورة يهواها .. وَلذا توالت وصايا النّبيّ الأكرم في نهيه أن يدخل الرّجل على أهله ليلا، إن لم يعطهم فسحة من الزّمان للتهيؤ له .. فلهذه العلّة -عدم التهيؤ- جاءت وصاياه بالدّخول في أوّل النّهار أو في آخره ..

1/ عن أنس قال : كان رسول الله -ρ- لا يَطْرُق أهله، كان لا يدخل إلاّ غَدوة أو عشيّة[1].

2/ عن جابر أنّ النّبيّ -ρ- قال : [***إذا دخلت ليلا، فلا تدخل على أهلك حتّى تستحدَّ المُغِيبة، وتمتشط الشّعِثَة***] [2].

- قال البغوي : "قوله : [***لا يطرق أهله***] أي : لا يأتي أهله ليلا، يقال لكلّ من أتاك ليلا : طارق، قوله : [***حتّى تستحدّ المغيبة***]، الاستحداد معناه : الاحتلاق بالحديد وهو الموسى، أي تزيل شعر عانتها، والمغيبة : التي غاب عنها زوجها"[3].
- وقال النّووي : "يستحب إذا قرب من وطنه أن يبعث إلى أهله من يخبرهم لئلاّ يقدم بغتة ... ويكره أن يطرق أهله طروقا لغير عذر، وهو أن يقدم عليهم في اللّيل، بل السنّة أن يقدم أوّل النّهار وإلاّ ففي آخره"[4].

- ولكن في زمننا الحاضر قد تطوّرت وسائل النّقل والاتّصال، فبإمكان المسافر اليوم أن يخبر أهله بوقت قدومه بكلّ يسر وسهولة عن طريق الهاتف وغيره .. ولذا فإن الدّخول ليلا على أهله جائز، لانتفاء علّة النّهي التي صرّح بها رسول الله -ρ- في الحديث :
- قال ابن حجر : "... إنّ الأمر بالدّخول ليلا لمن أعلم أهله بقدومه فاستعدّوا له، والنّهي عمّن لم يفعل ذلك "[5].
- وقال أيضا : "... وقد بيّن علّة ذلك ... حيث قال : [***حتّى تستحدّ المغيبة، وتمتشط الشعثة***]"[1].

---

(1) - أخرجه :
- البخاري في صحيحه (619/3) ح (1800) كتاب : العمرة، باب : الدّخول بالعشي.
- مسلم صحيحه (1527/3) ح (1928) كتاب : الإمارة، باب : كراهة الطّروق وهو الدخول ليلا لمن ورد من سفر.

(2) - أخرجه :
- البخاري في صحيحه (253/9) ح (5246) كتاب : النّكاح، باب : لا يطرق أهله ليلا.
- مسلم في صحيحه (1527/3) ح (715) كتاب : الإمارة، باب : كراهة الطّروق وهو الدّخول ليلا لمن ورد من سفر.

(3) - البغوي : شرح السنّة (669/5).

(4) - النّووي : المجموع (399/4).

(5) - ابن حجر : فتح الباري (342/9)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وقال النّووي : " ومعنى هذه الرّوايات كلّها –وقد جاءت متعدّدة في صحيح المسلم– : أنّه يكره لمن طال سفره أن يقدم على امرأته ليلا بغتة، فأمّا من كان سفره قريبا، تتوقع امرأته إتيانه ليلا فلا بأس ... فإنّ المراد أن يتأهبوا، وقد حصل ذلك ولم يقدم بغتة"[2].

- إنّ ديننا الحنيف، دين إحساس وجمال، وحبّ ووفاء .. لذا كانت صورة جميع خلقه في غاية الدقّة والإحكام والإتقان، حيث يدرك كلّ ناظر في خلقه مدى التّناسق الجميل، والإحكام البديع .. ونظرًا لفطرة الله في خلقه على حبّ الجمال، وهواية الصّورة الحسنة .. كان من الأدب الرّفيع أن يخبر المسافر زوجته بوقت قدومه حتّى يتمّ اللّقاء، على أكمل خلق وأحسن صورة .. فتتزاوج الأرواح من جديد .. ويألف أحدهما الآخر في وقت قريب.

– الفرع الثاني عشر : استقبال المسافر عند قدومه من السّفر.

وفاء للصّحبة والقرابة، ووفاء للأخوّة والخلّة .. فإنّ الخلق جُبِلوا على استقبال غائبهم ساعة قدومه من سفره في فرح ومرح، إظهارًا لمدى الترقّب الشّغوف لوصوله سالما معافى .. وقد سجّلت كثير من دواوين السنّة مواقف عديدة تروي استقبال الصّحابة للنّبيّ –ρ– عند عودته من أسفاره .. ممّا يدلّ على أنّها أُقرّت سنّة منه –υ– لأصحابه ولأمّته من بعده .. ففي هذا اللّقاء المفعم بالبهجة والسّرور : يُحيي الشّاهد الغائب بأحسن التّحيات وأعذب العبارات، فهذا يقبّل ويسلّم .. وذاك يعانق ويصافح .. ولعلّ لسان حالهم يقول سلام ! سلام ! وقدوم مبارك، وعودة ميمونة .. ولله الشّكر ! ولله الحمد ! .. وقد كان أروع استقبال سجّله التّاريخ بكلّ تفصيلاته وحيثياته، استقبال الصّحابة –رضوان الله عليهم– وأهل يثرب لرسول الإسلام : محمد –ρ–، ولصاحبه : أبي بكر –τ– في حادثة الهجرة من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنورة، وغيرها من المواقف نذكر منها الآتي :

1/ قال البخاري : " سمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله –ρ– من مكّة، فكانوا يغدون كلّ غداة إلى الحرّة فينتظرونه، حتّى يردّهم حرّ الظّهيرة ... فَبَصُر –يهودي– برسول الله وأصحابه ... فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب، هذا جدّكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السّلاح، فتلقوا رسول الله بظهر الحرّة"[3].

2/ واستُقبل رسول الله –ρ– كذلك عند قدومه إلى مكّة : فعن ابن عبّاس –τ– قال : لما قدم النّبيّ –ρ– مكّة استقبله أُغَيلِمَةُ بني عبد المطّلب، فحمل واحدا بين يديه، وآخر خلفه[4].

3/ واستُقبل رسول الله –ρ– عند رجوعه من غزوة تبوك : فعن السّائب بن يزيد : أَذكر أنّي خرجت مع الصّبيان نتلقى النّبيّ –ρ– إلى ثنيّة الوداع، مقدَمهُ من غزوة تبوك[5].

---

(1) – ابن حجر : فتح الباري (620/3) –بتصرف–.

(2) – النّووي : شرح صحيح مسلم (81/7-82).

(3) – أخرجه :

- البخاري في صحيحه (339/7) ح (2906) كتاب : مناقب الأنصار، باب : هجرة النّبي –ρ– وأصحابه إلى المدينة.

(4) – أخرجه :

- البخاري في صحيحه (619/3) ح (1798) كتاب : الحجّ، باب استقبال الحاج القادمين.

(5) – أخرجه :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4/ وكان رسول الله –ρ– يُستقبل في كلّ سفر يصل منه : فعن عبد الله بن جعفر قال : كان النّبيّ –ρ– إذا جاء من سفر تُلُقِي بصبيان أهل بيته، وإنّه جاء من سفر فَسُبِقَ بي إليه، فحملني بين يديه، ثمّ جيء بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه، إمّا حسن، وإمّا حسين، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[1].

- قال النّووي : "يسنّ تلقي المسافرين "[2].

- أجل **!** إنّ النّاظر في هذه الآثار وما تضمّنته من مواقف لاستقبال أشرف الخلق محمد –عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم– يدرك بجلاء قوّة أفراد المجتمع المسلم في تواصله وتراحمه .. إذ الغائب عنه لا ينسى، بل يرتقب في مجيئه ويُنْتظر بكلّ لهفة وبكلّ شوق، فإن أُخبر بوصوله تسابق إليه الجميع : صغير القوم وكبيرهم .. يسلمون ويهنئون غائبهم، ويشكرون ويحمدون ربهم .. على ما تفضل به من جود وكرمٍ عليهم وعليه، سواء ما كان منه في حضر أم في سفر.

– الفرع الثالث عشر : الطّعام للمسافر وزائريه عند الرّجوع من السّفر.

إنّ من دواعي إتمام الفرحة بالقدوم والوصول .. اجتماع الأصحاب والأحباب، فيأكلون ممّا طاب من الطّعام، ويتلذّذون بما عَذُب من الشّراب .. وإن المستقرئ لكتب الفقهاء ومعاجمهم يجد أنّهم عدّدوا الذّبائح والأطعمة المسنونة، وذكروا منها : النّقيعة : وهي ما يذبح للقادم من السّفر، والتّحفة : وهي ما يذبحه المسافر لزائريه ومهنئيه .. قدوة بنبيّ الإسلام محمد –υ– لما كان يفعله عند قدومه من السّفر :

فعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– أنّ رسول الله –ρ– لما قدم المدينة نحر جزورًا أو بقرة، وقال معاذ عن شعبة : فلمّا قدم صِرَارًا أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها، صِرَارٌ : موضع ناحية المدينة[3].

- قال ابن حجر : " قوله : باب الطعام عند القدوم، أي : من السّفر، وهذا الطّعام يقال له النّقيعة ... اشتق من النّقع، وهو الغبار، لأنّ المسافر يأتي وعليه غبار السّفر ... والأصل فيه : أنّ ابن عمر كان لا يصوم في السّفر لا فرضا ولا تطوّعا، وكان يكثر من صوم التطوّع في الحضر ... لكنّه يفطر أوّل قدومه لأجل الذين يغشونه للسّلام عليه والتهنئة بالقدوم، ثمّ يصوم"[4].

- وقال البهوتي : "... ونقيعة : اسم لطعام لقدوم غائب ... وتحفة : اسم لطعام قادم، فالتّحفة من القادم، والنّقيعة له"[5].

- الأكل والشّراب، سواء من الأهل للمسافر، أم من المسافر لضيوفه وزائريه .. رمز وعلامة للمودّة والمحبّة .. لذا حثّ الإسلام معتنقيه على حسن استقبال الضّيف وإكرامه، استجابة لأمر رسول الإسلام –υ– حيث قال : [***من كان يؤمن بالله واليوم***

- البخاري في صحيحه (191/6) ح (3083) كتاب : الجهاد، باب : استقبال الغزاة.

(1) – أخرجه :

- مسلم في صحيحه (1885/4) ح (2428) كتاب : فضائل الصّحابة، باب : فضائل عبد الله بن جعفر –رضي الله عنهما–.

(2) – النّووي : المجموع (399/4).

(3) – أخرجه :

- البخاري في صحيحه (194/6) ح (3089) كتاب : الجهاد، باب : الطّعام عند القدوم، وكان ابن عمر يفطر لمن يغشاه.

(4) – ابن حجر : فتح الباري (194/6).

(5) – البهوتي : شرح منتهى الإرادات (85/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآخر، فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضّيافة ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحلّ أن يثوي عنده حتّى يُحرجه] [1].

الخاتمة

بعد رحلتنا مع هذا البحث .. تمكّنا – بعون الله وتوفيقه – من الوصول إلى نتائج عامّة .. نوجزها في النقاط الآتية :

1/ توالت أحاديث السنّة المطهّرة مسنّة أحكاما وآدابا استحبّ للمسافر الآتيان بها : في بداية وأثناء ونهاية سفره .. وبذلك يعتبر التشريع الإسلامي قد سبق الكثير من اللّوائح والنّشرات التي اعتنت ببيان أسس السّياحة وأسفارها وأدبياتها .. فيا له من سبق ! ويا له من تشريع.

2/ ارتضت شريعة الإسلام للمسافر التّبكير كزمان للشّروع في السّفر .. تقليلا للنّصب، وتجنّبا للزّحام، وزيادة للبركة، ومضاعفة للنّشاط.

3/ سُنّ للمسافر صلاة ركعتين عند بداية السّفر والرّجوع منه .. توثيقا للصّلة بين العبد ومعبوده .. وأنسا بمعيّة الله وحسن توفيقه وسداده

4/ شرع الإسلام سنّة التّقابل والاجتماع، ثمّ التّوديع بالتواصي بالحقّ والتواصي بالصّبر .. حتّى يخفّف ممّا قد يعتلج في الأفئدة والأنفس من ألم السّفر، ولوعة الفراق.

5/ أُثر عن النّبي –ρ– أذكار وأدعية، حبُبَ للمسافر أن يردّدها .. ضارعا متذلّلا إلى الله، أن يوفقه ويسدّد خطاه في سيره وسفره.

6/ توالت العديد من نصوص السنّة الشّريفة مفضّلة الجماعة في السّفر .. لمدى أهميّة الصّحبة والرّفقة الطّيبة، خاصّة في زمان النّاس هذا، الذي أصبح يعجّ بكلّ أمواج الفتن والابتلآت ما ظهر منها وما بطن.

7/ هدف التّشريع الإسلامي إلى حماية الجماعة وتقوية صفها .. وسدًّا لمحظور الفرقة والاختلاف، سنّ –υ– اتّخاذ أمير للجماعة في سفرها، إن زاد أفرادها على ثلاثة.

8/ وضعت شريعة الإسلام كثيرا من التدابير الوقائية للسّفر : كالتأني في المسير، وعدم التعجّل في قضاء الحاجات، ومنع تحميل المركبة أكثر من طاقتها، وصيانة المركبة وتفقد أجزائها ... وبهذا يسبق التّشريع الإسلامي جميع اللّوائح وقوانين المرور العامّة في سنّ التدابير العامّة للوقاية من أخطار الطّرق والأسفار.

---

(1) – أخرجه :

- البخاري في صحيحه (531/10) ح (6135) كتاب : الأدب، باب : إكرام الضّيف وخدمته إيّاه بنفسه.
- مسلم في صحيحه (1353/3) ح (48)، كتاب : اللّقطة، باب : الضّيافة ونحوها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9/ جلّت السنّة النبويّة المطهّرة حقوق الطّريق وعدّدتها، وأرشدت إلى كيفيّة الأخذ بها .. لأجل توفير كامل الحماية لجميع المسافرين دون استثناء.

10/ العديد من آيات القرآن وأحاديث السنّة دعت أفراد هذه الأمّة إلى التّعاون فيما بينها – خاصّة – أثناء السّفر .. الذي تشتدّ فيه الحاجة إلى مواساة : الضّعيف، والضّال، والمحروم، والمنقطع، والمفقود.

11/ اعتبرت الهديّة من المسافر لأهله وذويه خلق رفيع من أخلاق الإسلام .. لما فيها من تأليف للقلوب، وصلة للأرحام، وزرعا للبهجة والسّرور لدى الأحباب والخلاّن.

12/ راعى الإسلام مشاعر وأحاسيس الخلق .. فحثّ المسافر الذي طال غيابه، أن يشعر أهله بوقت قدومه .. حتّى تتهيأ له زوجته فتستقبله في أبهى مظهر وأحسن صورة .. والله جميل يحبّ الجمال.

13/ أقرّ الرّسول الأكْرَمْ –ﷺ– في العديد من مواقفه عند رجوعه من أسفاره، سنّة استقبال المسافر من قبل ذويه .. مسلّمين ومهّنئين، شاكرين حامدين الله على نعمة : العودة بعد الغياب، واللّقاء بعد الفراق.

14/ حثّ الإسلام على استقبال الضّيف وإكرامه .. فكانت النّقيعة ما يذبح للمسافر، والتّحفة ما يذبحه المسافر لضيوفه وزائريه .. فَيُؤكل ما طاب من الطّعام، ويُشرب ما لذّ من الشّراب .. إكمالا للفرحة ! وإتمامًا للبهجة !

- هذه آداب الإسلام ومبادؤه ! وهذه أخلاقياته وموازينه ! وهذه أسسه الحضارية وقيمه الإنسانية ! . . للناس قاطبة في سفرها وترحالها . . فطوبى لمن أخذها ! وطوبى لمن عمل بها !

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com